المحاضرة الثانية: المؤثرات الأجنبية في النقد العربي

تمهيد:

يمثّل **النقد الأدبي** أحد أهم مظاهر الوعي الثقافي في الحضارة العربية، إذ نشأ في بداياته متصلًا بالذوق العربي الفطري وبالبيئة اللغوية والأدبية التي ازدهرت فيها **الشعرية العربية** منذ العصر الجاهلي. ومع تطوّر الحياة الفكرية في العصور اللاحقة، ولاسيما في العصر العباسي، بدأ النقد العربي يخرج من نطاق الملاحظات الانطباعية البسيطة إلى مجال **التأصيل النظري والتقعيد المنهجي**، متأثرًا بجملة من العوامل الثقافية والحضارية. وكان من أبرز هذه العوامل حركة الترجمة والاحتكاك الفكري بالحضارات المجاورة، مثل الحضارة اليونانية والفارسية والهندية، مما أدى إلى انتقال بعض المفاهيم الفلسفية والجمالية إلى الفكر العربي.

وقد أسهمت حركة الترجمة في نقل عدد من المؤلفات الفلسفية والبلاغية، وعلى رأسها كتاب **فن الشعر** للفيلسوف اليوناني **أرسطو**، الذي عرّف النقاد العرب ببعض القضايا المتعلقة بطبيعة العمل الأدبي ووظيفته الجمالية، مثل مفهوم المحاكاة وبنية النص الأدبي. كما ظهرت آثار هذه المؤثرات في كتابات بعض النقاد العرب، ومنهم **قدامة بن جعفر** في كتابه **نقد الشعر**، حيث حاول تقديم رؤية نقدية أقرب إلى المنهجية والتحليل العقلي.

ومع ذلك، لم يكن النقد العربي القديم مجرد انعكاس مباشر لهذه المؤثرات الأجنبية، بل ظل محتفظًا بخصوصيته المستمدة من **اللغة العربية وبلاغتها والتراث الشعري العربي** .فقد تعامل النقاد العرب مع هذه المؤثرات تعاملاً انتقائيًا، فاستفادوا منها في تطوير أدواتهم التحليلية وتوسيع آفاق التفكير النقدي، دون أن يفقدوا ارتباطهم بالأصول البلاغية والذوقية التي شكّلت أساس النقد العربي.

*** ملامح تأثر النقد العربي بالثقافة اليونانية:**

من أبرز النقاد الذين ظهر عندهم هذا التأثر **قدامة بن جعفر** في كتابه **نقد الشعر**، حيث حاول وضع أسس علمية للنقد الأدبي، متجاوزًا مرحلة الأحكام الذوقية العامة. فقد عرّف الشعر تعريفًا منطقيًا بقوله: "الشعر قول موزون مقفّى يدل على معنى"، وهو تعريف يعكس نزعة عقلية واضحة في تحديد ماهية الشعر وضبط عناصره. كما عمد إلى تحليل الشعر وتقسيمه إلى عناصر أساسية مثل اللفظ والمعنى والوزن والقافية، وهو منهج تحليلي يدل على تأثره بالمنطق الفلسفي الذي دخل إلى الثقافة

العربية عبر التراث اليوناني. كذلك ميّز بين القيمة الفنية للشعر والقيمة الأخلاقية لمعناه، معتبرًا أن جودة الشعر تقاس بمدى إحكام صنعته الفنية.

ويظهر التأثر بالفكر اليوناني بصورة أكثر عمقًا عند الناقد الأندلسي **حازم القرطاجني** في كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، حيث حاول بناء نظرية متكاملة للشعر. فقد ركّز حازم على مفهوم **التخييل** بوصفه أساس العملية الشعرية، ورأى أن وظيفة الشعر تتمثل في إحداث تأثير نفسي وجمالي في المتلقي من خلال الصور والمعاني المتخيلة. كما اهتم بتحليل بنية القصيدة وانسجام أجزائها، مؤكدًا ضرورة الترابط بين المعاني والصور لتحقيق التأثير الفني، وهو تصور يقترب من الرؤية التي عرضها أرسطو في حديثه عن بنية العمل الأدبي ووحدته.

ومع ذلك، فإن تأثر النقاد العرب بالثقافة اليونانية لم يكن تقليدًا مباشرًا، بل جاء في إطار التفاعل والاقتباس الواعي. فقد احتفظ النقد العربي بخصوصيته المستمدة من طبيعة اللغة العربية وتراثها الشعري، في حين أسهمت المفاهيم الفلسفية اليونانية في إثراء الجانب النظري والمنهجي للنقد. وبذلك أصبح النقد العربي القديم مزيجًا من الأصالة العربية والاستفادة من التراث الفكري الإنساني.